

## دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ، وَبُكَاءُهُ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الْآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ». رواه مسلم برقم (٣٤٦).

\* قال النووي رحمته في «شرح على مسلم» (٣ / ٧٩): (هَذَا مِنْ أَرْجَى الْأَحَادِيثِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ أَرْجَاهَا).

الفوائد المستنبطة من الحديث (١):

«هَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْفَوَائِدِ:

الفائدة الأولى: بَيَانُ كَمَالِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَاعْتِنَائِهِ بِمَصَالِحِهِمْ وَاهْتِمَامِهِ بِأَمْرِهِمْ.

\* قال ابن رجب رحمته في «فتح الباري» (٩ / ٢٣٧) عند حديثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي عنه: «كَانَتْ

الرَّيْحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ»: (إِنَّمَا كَانَ يَظْهَرُ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الْخَوْفُ مِنْ اشْتِدَادِ الرِّيحِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَخْشَى أَنْ تَكُونَ عَذَابًا أُرْسِلَ إِلَى أُمَّتِهِ).

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣ / ٧٨) مع زيادات من كلام غيره من شراح الحديث.

وكان شدة الخوف النَّبِيِّ ﷺ على أمته شفقة عليهم، كما وصفه الله ﷻ بذلك في قوله:

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولما تلا عليه ابن مسعود: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] بكى.

ولما تلا قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية بكى، وقال: «اللَّهُمَّ، أمتي،

أمتي»، فأرسل الله جبريل يقول له: (إن الله يقول: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك).

وكان يقول: «شيبني هود وأخواتها»...، يشير إلى أن شيبه منها ما ذكر من هلاك الأمم

قبل أمته وعذابهم.

وكان عند لقاء العدو يخاف على من معه من المؤمنين، ويستغفر لهم، كما فعل يوم بدر، وبات

تلك الليلة يصلي ويبكي ويستغفر لهم، ويقول: «اللَّهُمَّ، إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في

الأرض» اهـ.

الفائدة الثانية: بيان ما جبله الله عليه من الخلق الكريم:

\* قال أبو العباس القرطبي رحمته في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/

٢٩١): «وهذا منه ﷺ مقتضى ما جبله الله تعالى عليه من الخلق الكريم، وأنه بالمؤمنين رؤوفٌ

رحيم» اهـ.

\* قال ابن سعدي رحمته في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٧٩):

«قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي منَّ الله عليك

به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - لمن سأها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] [الآية]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ

رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

[التوبة: ١٢٨]، وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، والآيات

الحاثات على الخلق العظيم، فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة

العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلاً لينا، قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه،

جابراً لقلب من سأله، لا يجرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه،

وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم،

وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليساً له إلا أتم عشرة وأحسنها،

فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات

لسانه، ولا يؤاخذ به بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية

الاحتمال صلى الله عليه وسلم اهـ.

الفائدة الثالثة: اسْتِحْبَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ.

الفائدة الرابعة: الْبَشَارَةُ الْعَظِيمَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ زَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى شَرَفًا بِمَا وَعَدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ:

"سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ".

الفائدة الخامسة: بَيَانُ عِظَمِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ لُطْفِهِ سُبْحَانَهُ بِهِ ﷺ.

الفائدة السادسة: الْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ جِبْرِيلَ لِسُؤَالِهِ ﷺ إِظْهَارُ شَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ بِالْمَحَلِّ

الْأَعْلَى فَيُسْتَرْضَى وَيُكْرَمُ بِمَا يُرْضِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الفائدة السابعة: وَهَذَا الْحَدِيثُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

﴿الضحى: ٥﴾.

الفائدة الثامنة: قَوْلُهُ: "فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى": يدل على مشروعية

البكاء في الدعاء من خشية الله تعالى.

الفائدة التاسعة: نستفيد من إخراج ابن أبي الدنيا للحديث في كتاب «حسن الظن بالله» برقم

(٦٢): أن نحسن العمل ونحسن الظن بربنا.

\* قال شيخنا ابن عثيمين رحمته عند شرحه لهذا الحديث وما في معناه في «شرح رياض

الصالحين» (٣ / ٣٢٠): (فالحاصل أن هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف رحمته، كلها أحاديث

رجاء، تحمل الإنسان على أن يعمل العمل الصالح، يرجو بذلك ثواب الله ومغفرته) اهـ.

الفائدة العاشرة: فضل هذه الأمة، وهذا من إرضاء الله تعالى لنبه عليه الصلاة والسلام،

ولقد بَوَّبَ أبو عوانة رحمته على هذا الحديث في «مستخرجه» (١ / ١٣٧) بقوله: (بَيَانُ تَضَرُّعِ النَّبِيِّ

إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاجْتِهَادِهِ فِي الدُّعَاءِ لِأُمَّتِهِ حَتَّى أُعْطِيَ رِضَاهُ فِيهِمْ، وَبَوَّبَ عَلَيْهِ ابْنُ حَبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٦ / ٢١٧) فقال: (ذِكْرُ وَعْدِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا رَسُولُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُرْضِيَهُ فِي أُمَّتِهِ وَلَا يَسُوؤُهُ فِيهِمْ).

الفائدة الحادية عشرة: قد أرضاه الله في أمته - والله الحمد - من عدة وجوه:

• منها: كثرة الأجر لهذه الأمة، كما ثبت عند البخاري برقم (٢٢٦٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلْ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ»، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَّالًا وَأَقْلُ عَطَاءً، قَالَ: «هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ حَقَّقْتُمْ شَيْئًا؟» قَالُوا: لَا، فَقَالَ: «فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءَ».

• ومنها: أنهم الآخرون السابقون يوم القيامة، كما ثبت في الصحيحين - البخاري برقم (٨٧٦) ومسلم برقم (٨٥٥) - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...».

• ومنها: أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف، أمة محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منها ثمانون صفًا، كما روى أحمد في «مسنده» برقم (٤٣٢٨) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَيْفَ أَنْتُمْ وَرُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَكُمْ رُبْعُهَا، وَلِسَائِرِ النَّاسِ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهَا؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَثُلُثُهَا؟» قَالُوا: فَذَلِكَ أَكْثَرُ قَالَ: «فَكَيْفَ أَنْتُمْ

وَالشُّطْرُ؟» قَالُوا: فَذَلِكَ أَكْثَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا»، وفي رواية عند ابن حبان برقم (٧٤٦٠): «وأربعون من سائر الأمم»، وصحَّ الحديث الألباني في «التعليقات الحسان»، و«المشكاة» برقم (٥٦٤٤).

- ومنها: أن أمة محمد ﷺ خير الأمم، فعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، أنّه سمعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قَالَ: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ» رواه الترمذي برقم (٣٠٠١) وقال: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ)، وحسنه الألباني، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٢٠٠٢٩) ولم يذكر فيه الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].
- إلى غير ذلك من الفضائل الكثيرة.

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو الحارث أسامة بن سعود بن عمير العمري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الرياض - حرسها الله - الأحد ٩ / رمضان / ١٤٤٣ هـ